# المجالسة وجواهر العلم

لأحمد بن مروان الدينوري المالكي*
الأستاذة سكينة الشهابي

كما تمزق الوطن العربي الكبير فغدا ممالك ودويلات كذلك تمزقت ثمرات العقول العربية فغدونا نفتش عن الكتاب الواحد في أكثر من دار للمخطوطات وقلما نعثر عليه بصورة تامة مرضية .

ومن بين الكتب التي قضي عليها بالتمزق والتشرد فأصبحت أجزاؤها نتفاً مبعثرة في خزائن دور الكتب : « المجالسة » لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، من أهل مصر .

ذكرت المصادر التي ترجمته أنه الفقيه العلامة المحدث ، كما ذكرت أنه تتلمذ على مشاهير رجالات القرن الثالث في الأدب والحديث والغريب ، فقد روى عن ابن أبي الدنيا وعلي بن عبد العزيز البغوي، وصالح بن أحمد بن حنبل وابن قتيبة الدينوري ، وعباس الدوري وإبراهيم بن اسحاق الحربي وغيرهم كثير . وقد أجمعت المظان التي ترجمته أنه توفي عن أربعة وثمانين عاما ، ولكنها اختلفت في تعيين سنة وفاته ؛ قال الذهبي : « لم أظفر بوفاة الدينوري وأراها بعد الثلاثين وثلاثمائة » . وفي حسن المحاضرة أنه توفي سنة ٣٩٣هـ ، وفي

---

( * ) انظر في ترجمته : الديباج المذهب ٣٢ ؛ وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٦ ، وميزان الاعتدال ١ / ١٥٦ ، ولسان الميزان ١ / ١٠٩ ، وحسن المحاضرة ١ / ٣٦٧ ، وكشف الظنون ١٥٩١ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ / ١٢٥ ، وسيكون لي في هذا المقال تعقيب على ما أورده بروكلمان في تاريخه .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الديباج المذهب انه توفي في صفر سنة ٢٩٨ . وذكر حاجي خليفة وفاته سنة ٣١٠ وأيد ابن حجر رأي الذهبي فقال : « مات سنة ٣٣٣ » .

والرجل متهم بوضع الحديث ، اتهمه بذلك الدارقطني في غرائب مالك ، واكتفى كل من الذهبي وابن حجر بنقل هذا الاتهام دون أن يعقبا عليه بشيء ؛ بل ان حديث الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء يوحي بكثير من الثقة .

وعرف الدينوري بأنه صاحب « المجالسة » ، وقال بروكلمان : « كتاب المجالسة وجواهر العلم وهو يشتمل على أحاديث وقصص ومقامات في ٤٧ باباً » .

وربما كان من حسن حظ هذا الكتاب أنه من أهم موارد ابن عساكر الأدبية في تاريخه الكبير ، فلعل ذلك سيكون مشجعا على تلمة أجزائه المتناثرة والعمل على نشره ليكون في متناول أيدي العاملين في تحقيق هذا التاريخ .

وإنني سأضع بين يدي القارىء الكريم تعريفاً بهذا الكتاب معتمداً في ذلك على هذه الأجزاء القليلة الموجودة في المكتبة الظاهرية وعلى نسخة باريس ، وعلى نقول ابن عساكر الكثيرة من الكتاب .

بين يدي من أصول الكتاب :

١ ــ مصورة نسخة باريس . وتتألف من ٢٨٠ ورقة ، وهي من رواية الحسن بن إسماعيل الضراب عن أحمد بن مروان الدينوري ، وتؤلف الستة عشر جزءاً الأخيرة من الكتاب : من بداية الجزء الثاني والثلاثين إلى نهاية الجزء السابع والأربعين ــ وهي نسخة جيدة الخط حسنة الإعجام والضبط ، خالية من السقط والتحريف ، مقابلة ومسموعة على جمال الدين أبي محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي بحق سماعه من الشيخ أبي المعالي عبد الله بن عبد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صورة الورقة الأولى من نسخة باريس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صورة الورقة الأخيرة من نسخة باريس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

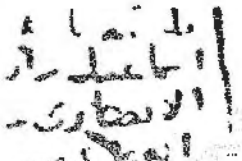

وجه الورقة الاولى من نسخة الظاهرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

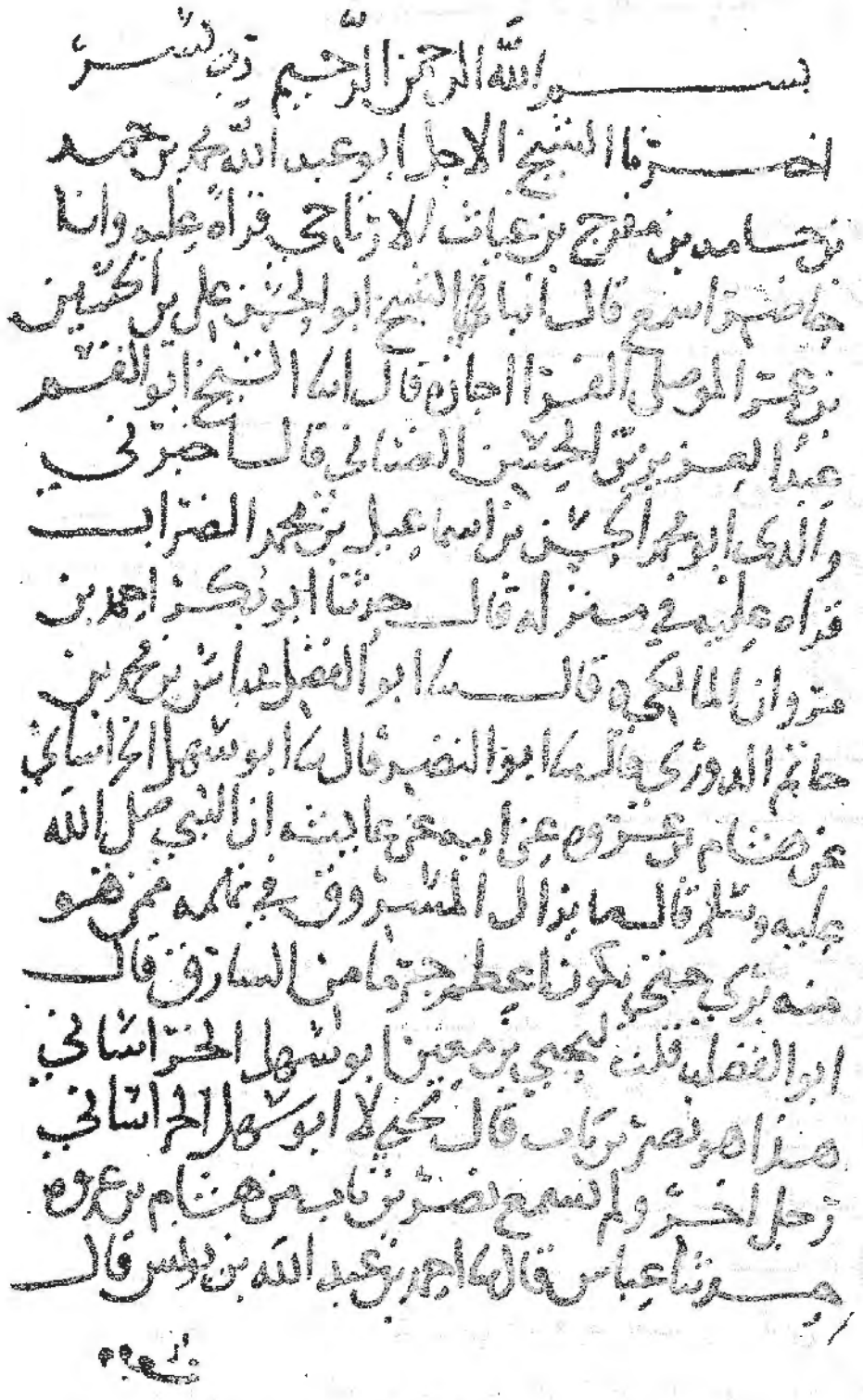

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

اخبرنا الشيخ الاجل ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن مفرج بن غياث الازناجي قراءة عليه وانا احاضر اسمع قال انبأنا الشيخ ابو الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفزاري اجازة قال انا الشيخ ابو القاسم عبد العزيز بن الحسين الصباني قال اخبرني والدي ابو محمد الحسين بن اسماعيل بن محمد الضراب قراءة عليه في منزله قال حدثنا ابو بكر احمد بن مروان المالكي قال انا ابو الفضل عباس بن محمد بن حاتم الدوري قال انا ابو النضر قال انا ابو سهل الخراساني عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زال المسيح يوفى في تمامه فمن هو منه بري حتى يكون اعظم جزما من السارق قال ابو الفضل قلت ليحيى بن معين ابو سهل الخراساني هذا هو نصر بن مالك قال نعم انا ابو سهل الخراساني رجل الخير ولم اسمع نصر بن مالك من هشام بن عروة حدثنا عباس قال انا جعفر بن عبد الله بن يونس قال

ظهر الورقة الاولى من نسخة الظاهرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرحمن بن صابر السلمي . مكان السماع : دار الحديث المظفرية بالموصل . وزمانه سنة ٥٩٦ هـ

وطريق النسخة هو التالي :

أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي ـ الشريف نسيب الدولة أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسيني ـ أبو الحسن رشأ بن نظيف ـ أبو محمد الحسن ابن إسماعيل الضراب ـ أحمد بن مروان الدينوري .

وقد روى ابن عساكر كتاب « المجالسة » من هذا الطريق عن شيخه أبي القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسيني مما يعطي نسخة باريس أهمية خاصة بالنسبة للعاملين في تحقيق تاريخ دمشق .

ونعود الى بروكلمان الذي قال في تاريخه ( ٣ / ١٣٥ ) : «كتاب المجالسة وجواهر العلم وهو يشتمل على أحاديث وقصص ومقامات في ٢٧ باباً : القاهرة ثاني ١ : ٣٥٢ ، وتوجد الأبواب الخمسة عشر الأخيرة منه في باريس أول ٣٤٨١ ... » .

إننا حين نتأمل بإمعان هذه القطعة الموجودة في باريس من كتاب المجالسة نجدها مقسمة إلى أجزاء حديثية يبدأ كل منها بالإسناد الكامل للجزء . وينتهي بالسماعات ولا أثر مطلقاً للأبواب وإنما هي أجزاء وليست هي خمسة عشر باباً وانما ستة عشر جزءاً واضحة البداية والنهاية . فهل وقع بروكلمان في وهمين : الأول أنه سمى الجزء باباً ، والثاني أنه أنقص عدد الأبواب ! ؟ ويساعدنا على تسمية عمل بروكلمان وهما أنه ذكر نسخة للكتاب في القاهرة تحت رقم ثاني ١ : ٣٥٢ ، وفهارس مخطوطات القاهرة تبين لنا ان الرقم المذكور إنما هو لكتاب من كتب ابن أبي الدنيا وليس لابن مروان الدينوري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ ــ أما ما حفظته لنا المكتبة الظاهرية في دمشق من الكتـاب فهو في ثلاث قطع .

آ ــ القطعـة الأولى في المجمـوع ٣٠ ( ١٤٥ ــ ٢٠٧ ) وفيها الجزءان السابع والثامن وقطعة غير مرقمة من كتاب المجالسة يرويهـا عن الدينوري : « أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب » .

طريق الجزء السـابع .

أبو عبد الله محمد بن حمد بن حامد بن مفرج بن غياث الأرتاحي ــ أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر بن الفراء ــ عبد العزيز بـن الحسن بن إسماعيل الضراب ــ أبو محمدالحسن بن اسماعيل الضراب .

كتب الجزء السابع سنة ٥٩٥ ، وعليه صورة سماع على الأرتاحي سنة ٥٩٤ ، وسماع علي أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي سنة ٦٤٠

وطريق الجزء الثامن :

أبو عبد الله محمد بن حمد الأرتاحي ــ أبو القاسم هبة الله بن علي بن سعود الأنصاري ــ أبـو الحسن علي بن الحسين بن عمـر الموصلي الفراء ــ أبو القاسم عبد العزيـز بن الحسن ــ أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب .

وعليه صورة سماع على أبي الحسن علي بن الحسين الموصلي . الفراء بقراءة الشيخ الحافظ أبي طاهر السلفي بمدينة مصر سنة ٥١٦، وصورة سماعٍ على الأرتاحي سنة ٥٦٤ وقطعة غير مرقمة لا يختلف خطها عن خط الجزأين ( ٧ ، ٨ ) عليها صـورة سماع على الأرتاحي سنة ٥٩٥

يلي هذه القطعة في المجموع ذاته الجزء الثالث والعشرون مـن



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجالسة ( ٢٠٧ ــ ٢١٦ ) وطريق هذا الجزء طريق نسخة باريس وعليه صورة سماع على ابن صابر سنة ٥٦٦ وفي آخره اسم الناسخ « محمد ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي » . خط هذا الجزء لا يختلف عن خط الأجزاء التي تقدمت في المجموع ذاته .

ب ــ في المجموع ٣٣ ( ٢٥ ــ ٣٧ ) قطعة أخرى من المجالسة تؤلف الجزء الثاني من السادس والعشرين وقد كتبت بخط يختلف عن خط النسختين .

إن هذه الأجزاء التي توفرت لنا من الكتاب لا تؤلف بمجموعها ( أجزاء باريس وأجزاء دمشق ) نصفه وبقي علينا أن نبحث عن بقية الكتاب[1] .

ومن المبهج حقاً أن القطع التي توفرت من الكتاب كلها جيدة موثقة لن تسبب لنا كبير عناء حين يساعدنا الله على تحقيق الكتاب ونشره .

أما طبيعة الأخبار فتعرفنا بها هذه الأجزاء التي عثرنا عليها من الكتاب وتقول ابن عساكر منه وهي كثيرة .

حين نقرأ أجزاء المجالسة الموجودة في الظاهرية يخيل إلينا ان مادة هذا الكتاب تشبه تمام الشبه مادة « عيون الأخبار » لابن قتيبة و « البيان والتبيين » للجاحظ ،فهو يجمع الأحاديث الدينية،والطرائف الأدبية،ويعرض مُلحاً وأشعاراً وأمثالاً ومواعظ لا يجمع بينها إلا ذلك العنوان الضخم الذي اصطلح العرب على تسميته « أدب » فالكتاب يحوي من كل شيء شيئاً ، ويكثر المصنف من الحديث النبوي أحياناً حتى نظن أنفسنا نقرأ في واحد من المسانيد المعروفة ، لا يخرجنا من ظننا

( ١ ) ذكر بروكلمان مختصراً للمجالسة في تركيا ــ المكتبة الآصفية وقد أرسلت في طلبه منذ اكثر من عام ولم اتلق أي رد حتى الآن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلا حكاية في الزهد أو قصة لمثل من الأمثال العربية وقلما يحفل المصنف بالتفسيرات اللغوية ، وهذا ما يبعد طبيعة كتاب « المجالسة » عن طبيعة كتاب « الأمالي » للقالي ، و « الجليس والأنيس » للمعافى ابن زكريا القاضي ، ويقربه من « عيون الأخبار » لابن قتيبة . فكأني بالدينوري كان يحذو حذو أستاذه ابن قتيبة وليس هذا غريباً فهو يكثر من النقل عنه ، وأقف عند هذه العبارة لأقول : كأن القضية قضية لوج في التأليف قبل كل شيء لأن ابن قتيبة ألف كتاباً ضخماً في غريب الحديث ، وكذلك ترك إبراهيم بن اسحاق الحربي كتابا في غريب الحديث في خمسة أجزاء والحربي من الشيوخ الذين يكثر النقل عنهم في المجالسة ولكن الدينوري أراد أن يكون كتابه كتاب أخبار ومواعظ وأحاديث ، ولم يحفل بالغريب ولم ينقل من الأخبار ما ذيل بتفسيرات للألفاظ والأشعار إلا نادراً .

ولعل استعراضنا لبعض الأخبار يمكن أن يكشف للقارىء عن طبيعة الكتاب فنأسف أن كتاباً كهذا لم تجمع قطعه المبزقة حتى الآن ، ولم يعمل الباحثون في التراث على نشره ووضعه الى جانب إخوته من مصادر كتب الأدب المطبوعة !

أكثرت كتب الأدب المعروفة من أخبار الكرم والبخل والشجاعة والجبن ، وحثت على الفضائل ونفرت من الرذائل وتحدثت عن الطمع والجشع ورغبت في الله ، وزهدت الناس في متاع الدنيا ، وعرضت صوراً من الفضائل التي غرسها الإسلام في نفوس الناس ، وقارنت بين هذه الفضائل وبين ما ألف العرب في الجاهلية وتوارثوه عن آبائهم وأجدادهم . وكتاب المجالسة يعطينا صورة صادقة لما ألفناه في كتب الأدب ، ولكن ما نجده فيه يختلف عما نجده في غيره من الكتب المعروفة فهو مطبوع بطابع خاص فرضته عليه شخصية مؤلفه ، والذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتضح لنا من قراءة الأجزاء الموجودة من الكتاب ومن استعراض الأخبار التي يرويها ابن عساكر أن الرجل كان ميالاً الى نقل العظة والعبرة والتزهيد في متاع الدنيا أكثر من ميله الى أي موضوع آخر .

يروي لنا الدينوري عن ابن ابي فديك[1] « أن رجلاً يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناس فيه ، لا يتكلم في شيء من أمر الدنيا وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا سئل عن الشيء أجاب جواباً معجباً حسناً ــ قال ابن أبي فديك : فأتيته يوماً وهو في مؤخر المسجد مع أهل الصفة منكس رأسه واضع وجهه بين ركبتيه ، فجلست الى جنبه فحركته ، فانتبه ، فأعطيته شيئاً كان معي ، فأخذه وقال : قد صادف منا حاجة فقلت له : يا أبا نصر ، ما الشرف ؟ قال حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها ، والقبول من محسنها والتجاوز عن مسيئها ؟ قلت : ما المروءة ؟ قال : إطعام الطعام ، وافشاء السلام ، وتوقي الأدناس ، واجتناب المعاصي صغيرها وكبيرها قلت : فما السخاء ؟ قال : جهد المقل . قلت : فما البخل ؟ قال : أفّ وحول وجهه عني ، فقلت له : لم تجبني بشيء ؟ قال بلى قد أجبتك .

لا يهمنا على لسان من نقل الخبر ، وكذا لا يهمنا راويه ، ولكن الذي يهمنا هذه الحكم والتجارب التي جمعها ، والتي تعطي الكتاب طابعاً خاصاً يدلنا على مدى اهتمام صاحبه بتربية النفس وتهذيبها وحملها على الفضائل .

وتفيد من الخبر الذي يليه درساً في التواضع وسمو النفس ونحن نرى الخليفة العظيم هارون الرشيد يسعى الى هذا الرجل راغباً في

---

(١) انظر المجالسة جـ ٧ / ق ١٦٠ ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التعرف عليه وسماع مواعظه .

ونكاد نزعم أن الكتاب في التصوف وأخبار الصوفية حين نقرأ هذا الخبر الذي رواه الدينوري من طريقه عن ابن المبارك ـ وأحببت أن أثبت الخبر بطوله لأنه خير ما يوضح هذه النزعة الصوفية في الكتاب . قال ابن المبارك[1] : « قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر ، وهم يستسقون في المسجد الحرام . وكنت في الناس مما يلي باب بني شيبة اذ أقبل غلام أسود عليه قطعتي[2] خيش قد ائتزر بإحداهما والقى الأخرى على عاتقه ، فصار في موضع خفي الى جانبي فسمعته يقول : إلهي أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوىء الأعمال ، وقد منعت غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك ، فأسألك ياحليم ، ذو أناة[2] ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل . اسقهم الساعة الساعة . قال ابن المبارك : فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى استوت بالغمام ، وأقبل المطر من كل مكان ، وجلس مكانه يسبح . فأخذت أبكي إذ قام فأتبعته حتى عرفت موضعه ، فجئت الى فضيل بن عياض ، فقال لي : مالك أراك كئيباً ؟ قلت : سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا ! قال : وما ذاك ؟ فقصصت عليه القصة ، فصاح ، وسقط ، وقال : ويحك يا بن المبارك خذني إليه ! قلت : قد ضاق الوقت ، وسأبحث عن شأنه . فلما كان من غدٍ صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا شيخ على الباب قد بسط له وهو جالس ، فلما رآني عرفني ، فقال مرحباً بك يا عبد الرحمن . حاجتك ؟ فقلت له : احتجت إلى غلامٍ أسود ، فقال : نعم عندي عدة فاختر أيهم شئت ، وصاح : يا غلام ، فخرج غلام جلد . قال : هذا محمود العاقبة أرضاه لك ، فقلت : ليس هذا حاجتي فما زال يخرج واحداً واحداً حتى أخرج اليّ الغلام ، فلما بصرت به بدرت

( ١ ) نسخة باريس ( ق ٢٢ أ ـ ٢٤ ب ) .
( ٢ ) كذا في الأصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عيناي فجلست ، فقال : هذا هو ؟ فقلت نعم ، فقال ليس إلى بيعه سبيل ! قلت : ولمَ ؟ قال : قد تباركت بوضعه في هذا الدار ، وذاك أنه لا يرزؤني منه شيء . قلت : ومن أين طعامه ؟ قال : يكسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل ، أو أكثر ، فهو قوته ، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم ، وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل ، ولا يختلط بأحد منهم ، مهتم بنفسه . وقد أحبه قلبي . فقلت له : أنصرف الى سفيان الثوري ، وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة ! ؟ فقال ان مسائك عندي كثير . خذه بما شئت قال : فاشتريته ، فأخذت به نحو دار فضيل بن عياض ، فمشيت ساعة اذ قال : يامولاي قلت : لبيك ، فقال لا تقل لبيك ، فإن العبد أولى بأن يلبي المولى ، قلت : حاجتك يا حبيبي ! قال : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة ، وفي غيري كان لك سعة قد أُخْرِجَ اليك من هو أجلد مني . فقلت لا يراني الله وأنا أستخدمك ، ولكن اشتري لك منزلاً ، وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي . قال فبكى . فقلت له : ما يبكيك ؟ ! قال : أنت لم تفعل بي هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله ، والا فلم اخترتني من بين أولئك الغلمان ! ؟ فقلت له : ليس بك حاجة الى هذا . فقال لي : سألتك بالله إلا أخبرتني . فقال : بإجابة دعوتك . فقال لي لمّا ذكرتُ له ذلك : اني أحسبك — إن شاء الله — رجلاً صالحاً ، انّ لله تعالى خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم الا لمن أحب من عباده ، ولا يُظهر عليهم إلا من ارتضى ثم قال لي : ترى أن تقف علي قليلاً . فإنه قد بقيت علي ركعات من البارحة . قلت : هذا منزل فضيل قريب . قال : لا هاهنا أحب إليّ . أمر الله عز وجل لا يؤخر . فدخل من باب الباحة المسجد ، فما زال يصلي حتى اذا أتى على ما أراد التفت إليّ فقال : يا عبد الرحمن هل من حاجة ؟ قلت ولم ؟ ! قال لأني أريد الانصراف . قلت الى أين ؟ قال إلى الآخرة ! قلت : لا تفعل ، دعني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أسرّ بك . فقال لي : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه ـ يعني ربه تعالى ـ فأما اذ اطلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك وغيرك ، فلا حاجة لي في ذلك ثم خر لوجهه فجعل يقول : إلهي اقبضني الساعة الساعة . فدنوت منه فإذا هو قد مات ! !

فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزني ، وصغرت الدنيا في عيني » .

أرأينا كم يريد ابن مروان الدينوري أن يزهد في الدنيا ويقلل من شأن متاعها وكم يريد أن يطنب في الحديث عن هذه الصلة الروحية بين العبد وربّه ، وأن أهمية الانسان تنبع من جوهره لا من مظهره ، في هذه المعاني الإنسانية التي لا يحس بها الا صفوة من بني البشر اختارهم الله ، هذا ما صورته لنا القصّة ، وهي واحدة من كثير حفل بها كتاب المجالسة كلها تقصد نحو هدف واحد وتسير الى غاية معينة ، كل ما في الدنيا أعراض زائلة وترهات باطلة ، تحجب الحقائق عن عيون بني البشر ، والسعيد من أحس بأهمية الجوهر ، وأعرض عن بريق المظهر .

وما أكثر أخبار النساك والزهاد في الكتاب ومنها ما رواه المصنف عن أبي بكر بن أبي[1] خيثمة « قال : ثنا خالد بن خداش ، قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب ، قال :

حضرت بعض نساك البصرة الوفاة وعنده أخ له من العباد ، فقال له : كيف أنت ، فقال : ما أخاف على شيء الا خوفي على بناتي ، فإني أخاف الضيعة لهم[2] بعدي فقال له : أما تخاف على[2] ذنوبك ؟ فقال : إني حسن الظن بربي فأرجو ان يغفر ذنوبي فقال له العابد :

---

( ١ ) انظر المجالسة ( ظاهرية م ٣٠ / ق ١٥٠ ) .
( ٢ ) هذا لفظ الأصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالذي رجوت أن يغفر ذنوبك فارجوه لبناتك ألا يضيعهن » .

وكما ذكرت فإن ما نجده في هذا الكتاب من الأخبار التي ترغّب في الله وتدعو الى الأدب معه لا نجده في غيره من كتب الأدب المعروفة، وهذا ما يجعل له مذاقاً ، وأهمية لا تعدلها أهمية .

روى المصنف عن عمير بن مرداس ، قال : ثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه عن جده ، قال : « قال القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق إنه سمع رجلاً يقول : ما أجرأ فلانا على الله ! فقال القاسم : ابن آدم أهون وأضعف من أن يكون جريئاً على الله ، ولكن قل : ما أقل معرفته بالله عز وجل ! » .

أرأينا الى هذا الأدب يعلمنا إياه القاسم في الحديث عن ربنا سبحانه وتعالى ، إنها تربية اسلامية تنبع من روح المبادىء التي لقناها عن القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومثل هذه الآداب الإسلامية ما رواه الدينوري قال[1]: «...حدثنا سفيان الثوري عن منصور والأعمش عن أبي وائل عن أبي الدرداء قال : ان أبغض الناس إليّ أن أظلمه رجلٌ لا يجد ناصراً الا الله عز وجل » . وهذا خلق المؤمن الذي يخاف ربه ويتقيه في عباده لا ترهبه قوة بشرية ولا جبروت دنيوي .

وأجدني مسترسلة في هذا الموضوع الذي أكثر من روايته في مجالسته وفضله على غيره من الموضوعات لولا ضيق المجال في مقالٍ قصيرٍ كمقالي هذا ، ومع ذلك فلا أراني استطيع الاستغناء عن نقل هذا الخبر للقارىء الكريم قبل الانتقال الى جانب آخر من جوانب الكتاب .

قال الدينوري : « ... [2] ثنا أبو عبيد القاسم بن سلام

---

( ١ ) المجالسة ( ظاهرية م ٣٠ / ق ١٥٠ ) .
( ٢ ) انظر المجالسة ( م ٣٠ ق ١٧٥ ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال : قال بعض الحكماء : لا تكن في الإخاء مكثرا ثم تكون فيه مدبراً فيعرف سرفك في الإكثار بجفائك في الإدبار » .

ولو رجع القارىء إلى هذه الأجزاء التي حفظتها لنا دور المخطوطات من الكتاب ، وإلى نقول ابن عساكر في تاريخه الكبير منه لوجد دستوراً كاملا في تربية النفس وحملها على الخلق الكريم، والأدب مع خالقها عز وجل وعباده الذين حثنا على أن نخالقهم بخلق حسن[1] .

وقد يظن ظان" بعد ما سقته من أمثلة أن الكتاب خاص بالمواعظ والحكم ، وليس هذا الظن صحيحاً ، إنه كتاب أدب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، فيه الشعر الحسن ، والمثل النادر ، والخبر المضحك ، وما أكثر ما نقل عنه ابن عساكر أخباراً أدبية نأنس لسماعها ولا نجدها في غير كتاب الدينوري، ولكننا نحسّ دائماً أن أكثر أخباره الأدبية مطبوع بطابع العظة والعبرة . روى ابن عساكر عن الدينوري في المجالسة قال[2] « كان رجل في البصرة من بني سعد وكان قائداً من قواد عبيد الله بن زياد فسقط من السطح فانكسرت رجلاه ، فدخل عليه أبو قلابة فعاده ، فقال له : أرجو أن يكون لك خِيْرة ، فقال له : يا أبا قلابة وأي خِيْرةٍ في كسر رجلي جميعاً ؟ ! فقال : ما ستر الله عليك أكثر . فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد يسأله أن يخرج فيقاتل الحسين بن علي . فقال له : قد أصابني ما أصابني ! قال ذلك للرسول . فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين ، فقال الرجل : رحم الله أبا قلابة ، لقد صدق إنه كان خيرة لي » .

هذه الطرفة الأدبية لا يختلف مدلولها عن مدلول ما تقدمها من أخبار فهي تدعونا أن نحمد الله على كل حال لأنه لا يريد بنا إلا الخير .

---

( ١ ) انظر مزيدا من الامثلة في المطبوع من تاريخ دمشق ( عبدالله ابن جابر ــ عبد الله بن زيد ) ص ٤٨ ، ٦٥ ، ١٥٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨٢ ، ٣٦٥

( ٢ ) انظر ص ٥٦٣ ( عبد الله بن جابر ــ عبد الله بن زيد ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما استعرضته من نماذج توضح لنا الصفة الغالبة على الأخبار التي وردتنا من كتاب المجالسة ، ولكنها ليست كل شيء ففي الكتاب من الشواهد التاريخية جوانب هامة قد تفيد من يحقق في موضوع خاص وقد ترفد من يكتب في بحث تاريخي عام . روى الدينوري[١] « عن زرّ بن حبيش قال : خطب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال : إن عمر بن الخطاب كانت خلافته فتحاً وإمارته رحمة ، والله اني لأظن الشيطان كان يفرق أن يحدث حدثاً مخافة أن يغيره عمر ، والله لو أن عمر أحب كلباً لأحببت ذلك الكلب » . مثل هذا الخبر يفيد في دراسة شخصية عمر وموقف الصحابة منه ، ويلقي ضوءاً على ما كان يتمتع به عمر رضي الله عنه من تأثير في نفوس كبار الصحابة رضوان الله عليهم . ولقول عبد الله بن مسعود أهمية كبيرة تتضح لنا بشكل أوفى حين يقارن بأقوال أخرى لهذا الصحابي في غير عمر[٢] .

ومما يؤكد الصفة الأدبية للكتاب ما نجده فيه من ذكر لبعض الأمثال ومناسباتها فهو يذكر المثل المعروف « الصَّيْفَ ضيعت اللبن » وينقل ما رواه المفضل الضبي في مناسبته[٣] . وشبيه به ما رواه أحمد ابن يوسف قال[٤] : « سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول : قول العرب : « لقد ذل من بالت عليه الثعالب » قيل هذا فيما بلغنا أن رجالاً من العرب كانوا يعبدون صنماً فنظروا يوماً الى ثعلب جاء حتى بال عليه فقال بعضهم :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

---

( ١ ) انظر اخبار عثمان ، رضي الله عنه ق ٩٥ ( كولومبيا ١٥٣ )
( ٢ ) انظر المجالسة ( م ٣٠ / ق ١٧٥ ) .
( ٣ ) انظر المجالسة ( م ٣٠ / ١٦٧ ) .
( ٤ ) انظر المجالسة ( م ٣٠ ق ١٧٥ ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويتلو هذا الخبر خبر آخر طريف عن أبي دُلامة ، تصطرع فيه غريزتا الجبن والطمع في نفس أبي دُلامة ويتغلب الجبن على الطمع في النهاية . ويسوق في هذا المجال أبياتاً ينتصر فيها بعض الجبناء لأنفسهم ويجردون الشجعان من الأدب :

« حدثنا ابن أبي الدنيا قال : ثنا محمد بن الحسين ، قال : أنشدني بعض أصحابنا

أضحت تشجعني هند وقد علمت أن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي حجت الأنصار كعبته لا يشتهي الموت عندي من له أدب

وهكذا ينتقل بنا المؤلف من طرفة أدبية إلى خبر تاريخي ، ومنه إلى تفسير لغوي ولكن مثل هذه التفسيرات لا تطالعنا كثيراً ومن أمثالها ما نقله عن ابن قتيبة في تفسير حديث النبي ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى يرى في القيامة لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في رؤية القمر » .

وتزداد أهمية الكتاب في نظرنا حين نجده المورد الأدبي الأول لابن عساكر في تاريخ دمشق لا يتلوه في الأهمية إلا كتاب « الجليس والأنيس » للمعافى بن زكريا القاضي . ومن استعراض الأجزاء المحققة من هذا التاريخ تتبين لنا مكانة الكتاب في نظر مؤلف التاريخ الكبير ، قبس منه في جزء ( عاصم ـ عايذ ) ١٤ مرة[1] وفي « أخبار عثمان » نقل عن المجالسة ٢١ مرة . ولعل الصفة الأدبية للكتاب لا تبدو في هذه الأجزاء الصغيرة المتوفرة منه بقدر ما تبدو في تاريخ دمشق . ومن يصدق أن الباحث أو المؤرخ يستطيع أن يجد في كتاب المجالسة

---

( ١ ) انظر ص ٣١٣ هامش ٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مادة كاملة لبحث تاريخي يتناول كل ما يتعلق بأمر عثمان ، فحين يتحدث المصنف عن كنية عثمان نجد نقولاً من كتاب المجالسة ، وحين يصف هيئته نجد وصفاً شافياً كافياً في كتاب المجالسة . نقل ابن عساكر من طريق الدينوري في المجالسة قال : « لم يكن عثمان بالطويل ولا بالقصير وكان حسن الوجه رقيق البشرة ، كثير الشعر ، عظيم اللحية ، أسمر اللون ، وكان يشد أسنانه بالذهب »[1] . وحين يذكر فضائل عثمان نجده ينقل من المجالسة عن الرسول ﷺ قوله : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي عدد ربيعة ومضر » قيل من هو يا رسول الله ؟ قال : « عثمان بن عفان[2] » وإذا كان مصنف تاريخ دمشق يتبع في تأليفه خطة معروفة ومنهجاً دقيقاً لا يكاد يحيد عنه فإن كتاب المجالسة كان نعم المعين له في كل فكرة يبسطها فقد أخذ منه وصفاً لخلق عثمان وخلقه وقبس منه من أحاديث الرسول عن فضائله ، وأسمعنا من المجالسة بعض أقوال عثمان وشيئاً من خطبه ، حتى إذا جاء دور الحديث عن الفتنة نقل أيضاً من المجالسة . ذكر الرسول لها وقوله : « هذا يومئذ على الحق » أي عثمان ، وما روته عائشة قالت : « كان النبي ﷺ مخلياً ؟ بعثمان وهو يقول له : إن الله مقمصك قميصاً أو سربالاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه ولاكرامة»، ونستمر في استعراض أخبار عثمان ويستمر وجه ابن مروان يطالعنا في كل خطوة يخطوها المصنف ، لقد كان كتاب المجالسة مادة أساسية في هذا البناء الضخم يتناول منه ابن عساكر كلما أراد أن يضع لبنة جديدة ، حتى في الحديث عن مقتل عثمان وقتلة عثمان استطاع ابن عساكر أن يلملم نتفاً يمكن أن نعدها وثائق هامة في تصوير

---

( ١ ) انظر نسخة كولومبيا ق ٦

( ٢ ) انظر نسخة كولومبيا ق ٣٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صدى هذه الفتنة ، وموقف المسلمين منها • قال ابن عساكر نقلاً عن المجالسة : « قال[١] رجل لطاوس ما رأيت أحداً أجرأ على الله من فلان: قال ، لم تر قاتل عثمان » • وفي معنى هذا الخبر ينقل ابن عساكر عن الدينوري لكبار الصحابة والتابعين أقوالاً تفيد الباحث ، كما تهم القارىء المطلع الذي يريد أن يعرف تلك الأحداث التاريخية الضخمة على حقيقتها ، ومن منابعها الأولى ، حتى ذلك الشعر الذي قيل في رثاء عثمان شارك الدينوري في نقله • روى ابن عساكر من طريق أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة قال : « لما قتل عثمان رثاه كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه فقال :[٢]

عجبت لقوم أسلموا بعد عزهم ... إمامهم للمنكرات وللغدر
فلو أنهم سيموا من الضيم خطة ... لجادلهم عثمان باليد والنصر
فما كان في دين الإله بخائنٍ ... ولا كان في الأقسام بالضيق الصدر
ولا كان نكاثاً لعهد محمد ... ولا تاركاً للحق في النهي والأمر

وليست هذه كل الأبيات التي رواها ابن عساكر وإنما اكتفيت بما ذكرته لأدل على أهمية هذا الكتاب الذي مزقت أحداث الأمة أشلاءه فغدا مزقاً مبعثرة في القاهرة واستانبول وباريس ولم يبق في أيدينا منه نحن هنا في دمشق إلا وريقات قليلة نمسك بها ونحن نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نجد فيه من المسؤولين عن التراث اهتماماً أوفى وأساليب مجدية فعالة في لملمة ما خلفه الأجداد لنا • إننا حين نستطيع لملمة مخلفات العقول يمكننا بعدها لملمة المخلفات المادية لأن التراث الفكري يأتي في الدرجة الأولى إن أردنا بناء الحاضر على أساس من الماضي •

---

(١) انظر نسخة كولومبيا ق ١٤٨
(٢) انظر نسخة كولومبيا ق ١٧٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونعل خير ما أختم به جولتي في كتاب المجالسة هذا الخبر الذي رواه أبو بكر الدينوري ، عن الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة قال[1] : « قال عبد الله بن عمرو ابن العاص : ثلاثة من قريش أحسن قريش أخلاقاً ، وأصبحهاوجوهاً وأشدها حياء ، إن حدثوا لم يكذبوا ، وان حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم » .

ولا أظننا بحاجة الى مزيد من الأمثلة لنقنع القارىء الكريم أنه كتاب في الأدب بكل ما تحمل كلمة الأدب من معنى ، فيه التاريخ والشعر والأمثال والطرائف الأدبية ويطغى على قسم كبير من أخباره طابع الحكم والمواعظ والترهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة حتى ليظن من يتناول أخباره لأول وهلة أن كاتبه ينحو الى صفاء النفس ومكارم الأخلاق وأنه يمهد الطريق واسعة لصوفية إسلامية بعيدة عن تلك المتاهات الفلسفية المعتمة التي لحقت بها فيما بعد .

وهناك مورد أدبي آخر من موارد ابن عساكر في التاريخ الكبير ، هذا المورد اسمه « المجالسة » أيضاً ، واسم مؤلفه محمد بن مروان السعيدي ، وطريق ابن عساكر إليه معروف . وقد ورد اسم هذا الكتاب صريحاً في «البداية والنهاية» واشترك ابن كثير مع أبي القاسم في نقل خبر منه ، ولكن ابن كثير صرح باسم المؤلف والكتاب، واكتفى ابن عساكر بإيراد الخبر مصدراً بإسناده . أرجو أن يفتح الله علي فأعرف القراء بكتاب جديد ومورد آخر من موارد ابن عساكر في تاريخه .

**سكينة الشهابي**

---

( ١ ) انظر المجالسة ( م ٣٠ ق ١٧٤ ) وقد نقله ابن عساكر عنه انظر ( عاصم ـ عايذ ) ٣٠٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net